مما لا يخفى هذا اللوم بنعمة الله تعالى اذا اشتغل بطاعته وقربه ومناجاته فتكون هذه اللذة تشغله
عن لذة الدارين وتحل بسببها في الخير بين خير الاخرة ونعيم الروية وخير راحة قلبه من الدنيا وما جاه
ربه هاهنا قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله الروذباري التقوى مجانبة ما يبعدك
عن الله تعالى قال الشارح رضي الله عنه والذي يبعدك عن الله اهمال الواجبات المحرمات امام
فالتقوى مجانبة هذين الشيئين خوف حذر البعد او العتاب فيجانب تضييع الواجبات
وكذلك يجانب ما نهي عنه خوفا من تشديد الحساب والحلول في العقاب والعبد من رب
الارباب وان علت همته جانب تضييع المندوبات وارتكاب المكروهات خوفا من العتاب
او فوات درجة الاحباب والله الموفق للصواب بمنه وكرمه قال الامام رضي الله عنه وقال
ذو النون التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفا
مع الله سبحانه موقف الاتفاق قال الشارح رضي الله عنه وهذا ارفع في درجات التقوى
وذلك ان من لا يدنس ظاهره بالمعارضات اي لا يكون عليه في حركات ظاهره اعتراض من جهة
الشرع بشي من المخالفات سواء كانت محرمات او مكروهات ولا يدنس باطنه بشي من العلالات اي
يعرض بباطنه عن ساير المحبوبات وان كانت من المباحات ويتوكل عزمه ويحسن همته في
النحو لنيل المقامات ولا يقف معها وقوف عجب ولا يسكن اليها سكون استحسان واعتماد
بل يكون مع كماله سيرا من اعماله رائيا لها فضلا من ربه جاريا عليه تحسيمشا لتوالي نعمه تحمشا
عليه راضيا بما جرى به عليه ما لم يكن من مناهيه او مادام عليه وهذا معنى قوله ويكون واقفا مع الله موقف
الاتفاق معناه يكون راضيا بما جريه عليه ويرضاه فيتفق رضاه بما رضيه مولاه فيصدق عليه
قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطا يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره
محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص قال الشارح رضي الله عنه وهذا قد
تكرر مرارا ان التقوى يكون بظاهر البدن وباطنه وهو القلب فالقلب واعامل من العبد
لانه محل ورود الخواطر من الحق ومن العدو فاذا انتبه العبد وميز بين الدواعي الى الاعمال
وعرف داعي الحق من داعي الشيطان قصد بايقاع عمله وجه القرب للرحمن وهو معنى الاخلاص
وصحت اعماله الظاهرة لوجود شرطها براجح البرهان والله المستعان قال الامام رضي الله عنه
وقال ذو النون المصري رحمه الله ولا عيش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح بالذكر قال
الشارح رضي الله عنه وذلك ان العيش الطيب انما يكون مع حياة القلب وانما يعيش القلب من زوال
الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له فاذا صلح القلب استقامت الجوارح كما قال عليه السلام
ان في البدن مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد الا وهي القلب فاذا صلح القلب والجسد وجد الانسان
من يقصد مقصده ويروم مرامه نظافة الهم وحصل التساعد على نيل المطلوب والناس فالاشتغال

بالافعال

بالافعال اسرع منهم للاقتدا بالاقوال فهذا لا القوم اذا وجدوا احملوا الضعيف بقوتهم
وعاشت همته برويتهم ورويه مجاهداتهم ولهذا قال رضي الله عنه ولا عيش الا مع رجال هذه صفتهم
قال الامام رضي الله عنه وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى
فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات قال الشارح رضي الله عنه وهذا حال ارفع المتقين
فان اول التقوى اتقا الزلات بارتكاب المحرمات والاخلال بالواجبات ثم اتقا المكروهات والشبهات
واتقا تضييع المندوبات واذا ارتقى العبد عن هذه الصفات الى حفظ الاحوال والمقامات فيحفظ
صبره عن الزلل وتوكله عن الخلل ورضاه عما ناله بما لم ينل فلذلك قال لحسن التوكل فيما لم ينل
فلا يمنعه تاخر الارزاق من اعتماد قلبه على الله تعالى واعراضه عن الاسباب وكذلك لا يحمله ما لا
ينال على كل هم بل رضي باختيار رب الارباب وكذلك يحتاج كل صبره من تلقيه وتاسفه على ما فاته
من جميع الاحباب وخلاصة هذا القول ان كمال التقوى حفظ حاله مع الله تعالى في صبره ورضاه
وتوكله فلا يخل بادبه مع مولاه فيطلع الى ما سواه قال الامام رضي الله عنه وقال طلق بن حبيب
التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله وهذه هي التقوى الواجبة فان خوف
العقاب انما يكون على ارتكاب المنهي عنه او تضييع متعلق الايجاب قال الامام رضي الله عنه سمعت
الشيخ ابا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت محمد الفراء يحكي عن ابي حفص انه قال التقوى في الحلال
المحض لا غير قال الشارح رضي الله عنه مراده والله اعلم ان من كانت تقواه خوفا من العقاب
فالحامل له على التقوى ذلك ولولا ما ربطه الله تعالى بفعله الثواب فلا داعي له الى العمل بما هنالك
واما من اعرض عن المباح وهو الذي لا اثم في فعله ولا في تركه وكذلك لا ثواب فانما يتقيه العبد
خوفا ان يشتغل بالتلذذ به عن مناجاة رب الارباب ودوام الذكر له والانس به وهو اتقيه
حتى لا يبقى بينه وبينه حجاب وبهذا الاعتبار جعل التقوى في الحلال المحض يعني به المباح
والله اعلم لكمال تقواه ان يتقي ما لا يضره في دنياه ولا اخراه وانما يخشى من شغله به ان يشغل قلبه
عمن يحبه لكمال ادبه معه فيغيب به عن سواه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر
الرازي يقول سمعت ابا الحسين الزنجاني يقول من كان راس ماله التقوى كلت الالسن عن وصف
ربحه قال الشارح رضي الله عنه ودليله قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب واتقوا الله ويعلمكم الله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وذلك انما لا يحصى احد ما اعد الله تعالى في الدنيا والاخرة للمتقين اعز لهم انفسهم في
دنياهم واغناهم به عن التذلل لابناء دنياهم وقنعهم منها باليسير فلم يلتفتوا اليها لعظم ولا خطر
لهذا البعض ثمرات التقوى في الدنيا التي ليست دار الجزاء فكيف بما اعد لهم في الاخرى قال الامام
رضي الله عنه وهذا وقال الواسطي التقوى ان يتقي من تقواه يعني من رؤية تقواه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا ارفع درجات التقوى وهو ان يكون العبد كاملا في تقواه معرضا عن ذلك اشغلا

بطاعة

Copyright © King Saud University